ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

هل يقاتل محور المقاومة إذا استفرد العدو بقطاع غزة؟

د. عصام نعمان

لا أسرار في عالمنا المعاصر. لا أسرار سياسية ولا اقتصادية ولا حتى عسكرية. ربما الأمر الوحيد الذي يبقى سراً لحين لحظة التنفيذ هو قرار فتح النار على العدو. ما عدا ذلك، كلّ «الأسرار» معروفة أو يمكن كشفها أو، في الأقلّ، يمكن تقدير مضمونها وأبعادها بدقة وشمولية .

في ضوء هذه الحقيقة ينتصب سؤال: كيف يفكر العدو الصهيوني في هذه الآونة، وهل تراه يستهدفنا بحرب؟

قادة العدو وخبراؤه العسكريون يعرضون في أبحاثهم تحديات الحرب واحتمالات اندلاعها او تفاديها في وسائل الإعلام العبرية بصراحة لافتة. من الضروري الإطلاع على ما يجول في رؤوس أهل الرأي لدى العدو وجنرالاته العاملين والمتقاعدين، مع الحرص دائماً على التدقيق في آرائهم والإحتراس الموزون مما يذهبون اليه من أغراض وخيارات.

لعلّ عاموس يادلين أبرز قادة الرأي والخبراء الإستراتيجيين الصهاينة الذين يُستحسن الإطلاع على آرائهم وتحليلاتهم. فهو رئيس «معهد أبحاث الأمن القومي» في جامعة تل ابيب والرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش «الإسرائيلي».

يادلين نشر تحليلاً في صحيفة «يديعوت احرونوت» ٤/١٠/٢٠١٨ أكّد فيه «انّ إسرائيل تواجه تحدّيات أمنية في ٦ جبهات: البرنامج النووي الإيراني محاولات إيران التموضع عسكرياً في سورية ولبنان مع التشديد على مخاطر «الصواريخ الدقيقة» تزويد سورية بمنظومة «أس ـ ٣٠٠» الروسية للدفاع الجوي التهديد من طرف حزب اللّه التصعيد الآخذ بالاقتراب في قطاع غزة الإضطرابات في الضفة الغربية».

يعتقد يادلين انّ التحدي الأكثر أهمية هو البرناج النووي الإيراني. لكنه يركّز على «انّ خطر الانفجار الأكبر في الوقت الحاضر هو في الجبهة الفلسطينية، خصوصاً في قطاع غزة». لماذا؟ يقدّم يادلين سببين: ازدياد الضغط الاقتصادي على سكان القطاع، وخطّ محمود عباس المتشدّد حيال حركة «حماس» لدرجة يبدو معها معنياً «بإشعال مواجهة بين «حماس» و«إسرائيل» تؤدّي الى إلحاق أضرار بالغة بهذه الحركة، وتساهم في تعزيز قوة السلطة الفلسطينية».

لأهل «اليسار» الصهيوني وجهة نظر مغايرة. كتّاب ومعلّقون وخبراء كُثر منشغلون منذ أشهر في الإضاءة على وطأة الحصار المضروب على قطاع غزة والتحذير من مفاعيله الخطيرة ليس على الأهالي فحسب بل على «إسرائيل» نفسها. بعضهم لفت المسؤولين الى انّ ارتفاع نسبة البطالة أدّى إلى ارتفاع نسبة المشاركة الشعبية في «مسيرات العودة» التي أضحت مسيرات شبه يومية وما عادت تقتصر على أيام الجُمَع. بعضهم الآخر حذّر من احتمال بلوغ حال اليأس مبلغاً يندفع معه الغزاويون، مقاتلين ومدنيين، الى اختراق السياج الحديدي والناري الممتدّ على طول حدود القطاع مع مناطق فلسطين المحتلة ابتغاء الوصول الى بعض المستعمرات المستوطنات القائمة في محيط القطاع لأسر واحتجاز مجاميع من جنودها وإداريها.

جنرالات «إسرائيل» يعون هذه المفاعيل والمخاطر. بعضهم يدعو ضمناً أهل السلطة الصهيونية إلى التخفيف من وطأة الحصار. بعضهم الآخر، المتأثر بطروحات المستوطنين العنصريين في الضفة الغربية وأصحاب الرؤوس الحامية من الحاكمين المتطرفين، يدعو إلى اجتياح القطاع بغية اقتلاع فصائل المقاومة وإعادة فرض الاحتلال. غير انّ كتّاباً ومعلقين وسياسيين من أهل «اليسار» يحذرون من مغبة الإنزلاق الى حرب مدمّرة لن تنال من أهل القطاع فحسب بل تمتدّ بمفاعيلها الكارثية الى قلب «إسرائيل» ذاتها.

نتنياهو وغالبية الوزراء في حكومته التي يقرّر سياستها وتصرفاتها أهل اليمين العنصري والمستوطنون سادرون في غيّهم ولا تستوقفهم مواقف معارضيهم الأقلّ تطرفاً. نتنياهو نفسه يبدو الأكثر تطرفاً. لماذا؟ لأنه يريد احتواء الملاحقات القضائية بحقه وبحق زوجته الناجمة عن اتهامات موثّقة بتقاضي رشى وصرف نفوذ. يريد ان ينهي هذا الفصل القضائي المُهين قبل الانتخابات القادمة او يبتغي، في الأقلّ، التغطية عليه بمواقف سياسية تفجّر تيارات عصبوية جارفة.

يمكن القول، في ضوء الواقعات والتطوّرات والتحديات سالفة الذكر، إنّ ثمة حالتين مضطربتين متفجرتين في كلٍّ من «إسرائيل» وقطاع غزة قد تتدحرجان، خصوصاً بسبب تصرفات العنصريين الصهاينة في الحكومة والكنيست والجيش والمستوطنات، الى انفجار عسكري لن يتوانى نتنياهو عن انتهازه وتوسيع أبعاده ليخدم ما يستبطنه ترامب في «صفقة القرن» من مرام لتصفية قضية فلسطين وإعادة ترسيم الخريطة السياسية لبلدان المشرق العربي.

لذلك يجب عدم الاستهانة باحتمال إندلاع حربٍ على حدود قطاع غزة مع فلسطين المحتلة. «إسرائيل» لن تعوزها الذرائع لاستغلال الحرب وتوسيع دائرتها بغية تحقيق مطامعها التوسعية في غمرة الانقسام المحبِط بين الفلسطينيين، والتشرذم المتفاقم بين سائر العرب، والصراع الدولي والاقليمي المحتدم في سورية وعليها.

على العرب الاحياء، وجلّهم اليوم في تيار المقاومة ودوله المتحرّرة، ان يستجيبوا بعمق وجدّية للتحديات الخطيرة الماثلة، وان يقرّروا بحزم وصلابة مواجهتها بإحباط جهود العدو الصهيوني ومن معه ووراءه الرامية الى استفراد قطاع غزة في سياق مخطط جهنمي لتصفية قضية فلسطين وتالياً سائر قضايا العرب. يجب التصدي للعدو بكلّ الوسائل المتاحة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهي متوافرة ومتطورة بإقرار أطراف محور المقاومة، حكوماتٍ وتنظيمات.

بكلمة، حذار الاستهانة والاستهتار والتخاذل والسير على إيقاع أكثرنا جبناً وخنوعاً لئلا نجد أنفسنا في قاع هزيمة تاريخية نكراء نردّد بعدها بذلّ وندم وحسرة: قُتلتُ يوم قُتل الثورُ الأبيض...

الشباب المقاتل والقضية الحية

غالب قنديل

كلما توهم الحلف الاستعماري الصهيوني الرجعي الذي يسعى للسيطرة على المنطقة ان قضية فلسطين قد انطفأت أو أنه تم ترويض الفلسطينيين وتيئيسهم ليقبلوا بالاحتلال الصهيوني وبإسقاط حق العودة وتعويم الكيان الغاصب بمعونة الحكومات العربية التابعة يبادر فتيان فلسطين وفتياتها بصورة غير متوقعة لتسديد ضربة للاحتلال هي باستمرار صفعة لذلك الحلف ولأذنابه في المنطقة.

العملية التي نفذها يوم الأحد شاب فلسطيني من خارج الفصائل المنظمة يدعى أشرف نعالوه هي مبادرة تثير الإعجاب من الناحية العسكرية والأمنية بتمكنه من دخول مجمع "بركان" الاستيطاني مع سلاحه الفردي وتسديد الرصاص إلى عدد من المستعمرين الصهاينة أوقع بينهم قتيلين وجريحا ثم نجح في الانسحاب ليخلف وراءه ارتباكا وذعرا شديدين واستنفارا حرك في أثره ألوية وكتائب عسكرية وأمنية بحثا عن مخبئه او مكان تواجده.

من الأخطاء التي شاعت في توصيف العملية انها فردية وهي كذلك من الوجهة التقنية لكنها جزء من ظاهرة واسعة فالفدائي أشرف الذي نفذ الهجوم يوم الأحد يواصل دربا سبقه عليها كثيرون من أبطال العمليات الفدائية خلال الفترة القريبة الماضية من احمد جرار إلى عبد الكريم عاصي وقبلهما القائد الشهيد باسل الأعرج وغيرهم ...إنهم طليعة جيل مقاوم وليسوا أفرادا مبعثرين بلا هوية.

يتحول الشاب الفلسطيني الثائر إلى تنظيم قائم بذاته فيستخدم سلاحا من صناعة محلية وربما يكون الفدائي البطل الحائز على بكالوريوس الهندسة قد صنعه بنفسه وهو قام بالتخطيط لعمليته في رقعة كانت مقر عمله اليومي وبالتالي يحفظها عن ظهر قلب بجميع التفاصيل والمواقيت وتلك ميزة نوعية في أبناء الأرض الثائرين الذين يعتمدون على انفسهم ليغدو نشاط الواحد منهم لغزا عصيا على مخابرات العدو وعلى جميع اجهزة الأمن المتعاونة مع الاحتلال.

الجيل الفلسطيني الشاب الذي عاصر مسيرة اوسلو بكل عارها وإحباطها وخيباتها مدرك بوعي لعقم التسويات ولبلاهة وتفاهة الخطب السياسية الترويجية التي ترددها القيادات الفلسطينية المساومة وهو يعي بكل عمق مأزق الرهان على تحصيل أي من الحقوق البديهية باستجدائها من العدو او من كفيله وحاضنه الأميركي وهذا الجيل الفلسطيني يعيش يوميات التنسيق بين السلطة الفلسطينية ومخابرات العدو ويتعلم كيفية النفاذ إلى اوكار المستعمرين والإفلات من تعقب الجواسيس المغروسين داخل البلدات والقرى والمخيمات الفلسطينية .

لا طريق غير المقاومة هي عبرة تاريخية تعلمها الشباب في فلسطين المغتصبة عام ٤٨ وفي الضفة وغزة حيث يجودون بأرواحهم ودمائهم في المسيرات التي تتحدى الاحتلال والحصار فمن أين يتسنى الرهان على إخماد البركان الفلسطيني.

عندما حركوا مقاومتهم وهباتهم نظموا معاركهم عبر مواقع التواصل وأتقنوا اختيار الساحات وبرعوا في استخدام السكاكين والخناجر وأتقنوا عمليات الدهس المنظم حيث لا سلاح في متناول أيديهم فنجحوا في تعميم الارتباك والذعر في صفوف العدو.

قيادة الفصائل مستغرقة في دوامة النقاش العقيم حول وحدتها وتوزيع محتمل لحصصها في الأطر القيادية لمنظمة التحرير التي هي إنجاز نضالي لشعب فلسطين وباتت عبر عقود من اللهاث خلف التسويات هيكلا مدجنا يعتاش على الفتات الأميركي السعودي وينسق مع العدو ضد طلائع الفدائيين من الشباب المقاتل في كل فلسطين.

تلك المبادرات الفدائية الفلسطينية هي مؤشر لطريق نضالي جديد من خارج العلب الحزبية والعقائدية وهي إثبات لحالة القصور والترهل التي تعيشها غالبية التنظيمات التي انفصلت عن جذورها بفضل التكلس البيروقراطي في الشتات كما في هياكل سلطتي رام اللّه وغزة ونتيجة اختيار الطرق الأسهل بتخلي البعض عن النضال المسلح وسعيه الحثيث لقتل روح المغامرة الثورية لصالح التحصن في مواقع الدفاع الممكن والعمل الوطني الرتيب بقوة العادة.

من يسأل عن سر حياة قضية فلسطين فلينظر في الشجاعة والتضحية والإقدام التي يبرهن عليها جيل الفدائيين الشباب القادر على الابتكار والاتقان وتحدي المستحيل وليتأمل في ما يولده هذا الجيل الفدائي من الارتباك والحيرة في صفوف قادة الكيان ومؤسساته الأمنية والعسكرية المدججة بالتكنولوجيا وبالأسلحة.

دبلوماسية الخطف والقتل.. خاشقجي ليس الأول بتاريخ السعودية

اختطاف الإعلامي السعودي جمال خاشقجي -الذي رجحت تركيا قتله بالقنصلية السعودية- أعاد إلى الأذهان عمليات خطف عديدة طالت معارضين سعوديين بارزين خارج المملكة بينهم أمراء من الأسرة الحاكمة، حيث أعيدوا إلى الرياض ليدفعوا ثمن انتقاد سياسة بلادهم.

واختفى خاشقجي بعد أن دخل مبنى القنصلية السعودية في إسطنبول ظهر الثاني من أكتوبر/تشرين الأول الجاري للحصول على وثائق عائلية، إلا أنه -وبحسب خطيبته التي كانت بانتظاره ساعات عدة خارج المبنى- لم يخرج مما دفعها لمراجعة مسؤولين بالقنصلية لكنهم أبلغوها بمغادرته المكان فاتصلت بالسلطات التركية.

شواهد عدة تُؤيد فرضية اختطاف خاشقجي، أبرزها أن القنصلية السعودية كانت على علم مسبق بقدومه إليها، إذ إن موظفيها حددوا له هذا الوقت للقدوم مجددا لإتمام معاملاته.

كما أن خطيبته ذكرت أنه سلمها هاتفه المحمول ودخل لاستلام الأوراق، وأوصاها إن تأخر أو حدث شيء أن تتصل بمستشار رئيس حزب العدالة والتنمية التركي ياسين أقطاي، وجمعية "بيت الإعلاميين العرب" في تركيا، مما يُوحي بتوقعه حدوث شيء.

وقد رجّحت الشرطة التركية أمس مقتل خاشقجي داخل القنصلية، وذكرت مصادر أن فريقا سعوديا قام بتعذيبه وتقطيعه. بينما تصرّ الرياض على أنه غادر القنصلية بعد دخوله بقليل.

ولاحقا، نقلت وكالات الأنباء عن مصادر تركية مطلعة أن الشرطة تعتقد أن خاشقجي قُتل داخل القنصلية بأيدي فريق أتى خصيصا إلى إسطنبول وغادر في اليوم نفسه.

أمراء ولكن مختطفون

وقد تمثلت الحوادث الأشهر في تاريخ "دبلوماسية الخطف" السعودية في اختطاف ثلاثة أمراء في الفترة ما بين سبتمبر/أيلول ٢٠١٥ وحتى فبراير/شباط ٢٠١٦، حيث تم إجبارهم على العودة إلى المملكة.

ووفق وثائقي بثته هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) فإن أول هؤلاء كان الأمير سلطان بن تركي الذي تم اختطافه في الأول من فبراير/شباط ٢٠١٦ وبرفقته ٢٠ من حاشيته من حاملي الجنسيات الغربية.

وأوضح اثنان من هؤلاء أنهما كانا برفقة الأمير على متن طائرة متجهة إلى القاهرة، إلا أنه تم تحويل مسارها ليجدوا أنفسهم بالرياض، وأفادا بأن الأمير لم يستسلم بسهولة حيث صرخ وتعارك بالأيدي مع مضيفي الطائرة الذين تبين حملهم أسلحة أخفوها من أجل إخضاعه وبقية المسافرين.

وما إن هبطت الطائرة حتى أحيطت بعشرات المركبات العسكرية والجنود المسلحين، وتم اقتياد الأمير الذي كان يضرب برجليه إلى سيارة مجهولة، ليصرخ لطاقمه المرافق بأنهم "تعرضوا لعملية اختطاف، وبأن عليهم إخبار سفاراتهم".

وتشير صحيفة غارديان البريطانية إلى أن "الأمير لم ير في العلن منذ هذا الحادث".

ولكن لم تكن هذه عملية الخطف الأولى بحق سلطان. ففي صباح ١٢ يونيو/حزيران ٢٠٠٣، توجه الأمير لقصر عمه الملك الراحل فهد في ضواحي مدينة جنيف بسويسرا بدعوة من الأمير عبد العزيز الابن المفضل للملك (وللمفارقة فإن هذا الأمير محتجز الآن بالرياض).

وعرض عبد العزيز على سلطان العودة للمملكة واعدا بحل النزاع الناشئ عن انتقاده للقيادة السعودية لكنه رفض، وعندها غادر الأول ومرافقه وزير الشؤون الإسلامية الشيخ صالح آل الشيخ، وبعد لحظات داهم الغرفة رجال ملثمون ثم شرعوا في ضرب سلطان وكبلوه ثم غرزوا إبرة في عنقه، وأسرعوا به وهو فاقد الوعي إلى مطار جنيف ثم نقلوه لطائرة طبية كانت تنتظر بمدرج المطار.

أمير ومسؤول أمني

أما الأمير تركي بن بندر آل سعود -وهو مسؤول أمني سابق كان مكلفا بفرض النظام بين أفراد الأسرة المالكة ذاتها- فتعرض للسجن بسبب خلاف أسري قبل أن يفر إلى باريس ويدعو إلى تبني إصلاحات بالسعودية منذ عام ٢٠٠٩.

وظل الرجل ينشر مقاطع فيديو تنتقد السياسات السعودية حتى يوليو/تموز ٢٠١٥ ثم اختفى في وقت لاحق من السنة ذاتها.

وذكرت صحيفة مغربية أن هذا الأمير كان عائدا إلى فرنسا بعد زيارة إلى المغرب عندما اعتقل وسجن هناك. ثم سُلم إلى سلطات بلاده بناء على طلب منها بموافقة محكمة مغربية.

وثالث الأمراء المختطفين هو سعود بن سيف النصر -وهو من أفراد الأسرة الحاكمة أيضا- وقد بدأ منذ عام ٢٠١٤ انتقاد النظام كما دعا لمقاضاة مسؤولي المملكة الذين أيدوا عزل الرئيس المصري محمد مرسي، قبل أن يدعو لاحقا إلى انقلاب داخل العائلة الحاكمة لخلع الملك سلمان.

ويرى أمير آخر انشق عن الأسرة المالكة هو الأمير خالد بن فرحان آل سعود -الذي حصل على اللجوء السياسي في ألمانيا عام ٢٠١٣- أن سعود سيف النصر وقع ضحية فخ لاستدراجه من مدينة ميلانو إلى روما لمناقشة مشروع مع شركة روسية إيطالية، مشيرا إلى أن "طائرة خاصة من الشركة جاءت وأخذت الأمير. لكنها لم تهبط في روما وإنما في الرياض".

يساري معارض

وبالعودة إلى التاريخ قليلا، تأتي حادثة خطف المعارض اليساري ناصر السعيد الذي وُلد عام ١٩٢٣ وعمل في شركة "أرامكو" وخاض سلسلة من الإضرابات العمالية ضد ظروف العمل الشاقة آنذاك، قبل أن ينتقل إلى مصر عام ١٩٥٦ ويبث عبر إذاعة صوت العرب قصائد وخطابات مناهضة لنظام الحكم في بلاده.

وبعد وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، انتقل السعيد إلى دمشق، ومنها إلى بيروت حيث تعرض للاختطاف في ١٧ ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٩.

وبعد ثلاثين عاما على اختفائه، نشر مارك يونك -وهو بريطاني عمل حارسا لإحدى عائلات آل سعود- مذكراته، وكشف فيها أن السعيد اختطف من بيروت وأُلقي من طائرة على أحد سواحل البحر المتوسط.

محاولات فاشلة

لكن "دبلوماسية الخطف" لم تكن ناجحة على الدوام، فقد تعرض المعارض السعودي البارز سعد الفقيه لمحاولة اختطاف فاشلة أصيب خلالها بعدة طعنات وكسرت ساقه قبل أن يُنقل لمستشفى بالعاصمة البريطانية عام ٢٠٠٣.

وتبقى حادثة الاعتداء على الناشط السعودي المعارض غانم الدوسري هي الأحدث. فقد تعرض في الأول من سبتمبر/أيلول ٢٠١٨ لاعتداء بأحد شوارع لندن ممن قال إنهما شابان تابعان للسلطات السعودية.

ونقلت صحيفة إندبندنت البريطانية عن الدوسري -المعروف بانتقاداته الساخرة اللاذعة لحكام السعودية- قوله إن الشخصين صرخا بوجهه "من تكون حتى تتحدث ضد آل سعود وتنتقد محمد بن سلمان".

وأظهرت لقطات تم تصويرها شخصا يلكم الدوسري بوجهه بينما حاول المارة إبعاده عنه، وكان الثاني يرتدي بدلة رمادية ويحاول بدوره الاعتداء على الدوسري قبل أن يتم جره إلى الوراء.

وقال الدوسري لإندبندنت إن المهاجمين سعوديان وقد عادا إلى البلاد بعد ذلك، مشيرا إلى أنه تلقى اتصالا هاتفيا لاحقا ممن يدّعي أنه الشخص الذي لكمه قائلا إنه بالسعودية.

سياسة متعدية

ولم تقتصر "دبلوماسية الخطف" السعودية على مواطنيها بل تخطت ذلك بدءا من تسليم سياسيين ليبيين قدموا للمملكة لأداء مناسك العمرة إلى قوات اللواء المتقاعد خليفة حفتر، وصولا إلى احتجاز رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري في ٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧ عدة أيام وإجباره على تقديم استقالته، قبل أن تتدخل فرنسا لإطلاق سراحه.

العالم